جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم علم الاجتماع

السنة الثالثة

الفصل الأول

# نظريات اجتماعية

أ . د . عدنان أحمد مسلم

## المحاضرة السادسة

**النظرية التفاعلية الرمزية :**

* تعد واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية . وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى ( الفرد وسلوكه كمدخل لفهم النسق الاجتماعية ) وتنتقل إلى الوحدات الكبرى ( المجتمع تنظيماته المختلفة ) .

* تعتمد على مبدأ ( صحة المقدمات تقاس بصحة النتائج ) .

* هي نظرية منافسة للاتجاه البنائي – الوظيفي ( النظرية البنائية الوظيفية ) .

* ولدت اهتماماً بمفاهيم لها دور في فهم الاتصال والتفاعل مثل : الرموز / النفس / اللغة / الأنا / الذات والعقل ) .

* تنظر إلى البشر كما يسلكون إزاء الأشياء في ضوء ما تحمله تلك الأشياء من معان ظاهرة لهم التي هي حصيلة للتفاعل ... غير أن البشر يستطيعون تعديل هذه المعاني وإعادة تشكيلها من خلال عمليات التأويل التي يستخدمها الأفراد في تفاعلهم مع الرموز .

الرمز شيء يعبر عن معنى شيء آخر فعندما يضع الفرد على سترته رمزاً ، فإنه يعني بذلك أنه ينتمي إلى : دولة / منظمة ... الخ ، والسيارة الفارهة هي رمز للثراء والمكانة الاجتماعية العالية .

الأصوات رموز لها دلالات ( كلمة حريق في سوق عام ) دلالتها سرعة إخلاء المكان .

الإشارات رموز لها دلالات ( رفع الحاجب ) دلالة للرفض الابتسامة ودلالتها الإيجابية أو السلبية ... الخ .

* تعبر رؤية فاحصة للواقع الاجتماعي تعالج مشكلاته وتعمل على تجاوزها بمعنى كشف ما يكتنف الإنسان من مشكلات من خلال فهم الإنسان لذاته الفاعلة وأدواره والمواقف التي بمر بها داخل المجتمع .

* تدرس النظام ( النسق الاجتماعي باعتباره بني للأدوار وفق الوظيفة إلا أنها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي مكان حدوث الفعل الاجتماعي ) .

**مثال** : الفصل الدراسي / الكلية / المعلم والعلاقة بينهم وإدراك الطلبة حقيقة كونهم ماهرين أو كسالى وتقدير المعلم لنجاحه أو فشله ... إلخ ، وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل على التلاميذ أو المدرسون بعضهم مع بعض حيث يحققون في النهاية نجاحاً أو فشلاً تعليمياً .

* **تعني التفاعلية الرمزية** : التفاعل الذي ينشأ بين مختلف العقول والمعاني والذي يعد سمة مميزة للمجتمع الإنساني ويستند هذا التفاعل الاجتماعي على :

- أن يأخذ الفرد ذاته في الاعتبار .

- أن يحسب حساباً للآخرين ( يحسب حساب الآخرين ) ، أي أن يستوعب أدوار الآخرين

ولهذا فإن التفاعلية الرمزية تعبر فعلاً عن التوجه الاجتماعي لعلم النفس الاجتماعي فهي استطاعت أن تكشف عن المصادر الاجتماعية للسمات الفريدة للإنسان وأوضحت أن الفعل والذات هما أبسط صور المجتمع ووصفت كيف يستطيع أعضاء الجماعات الإنسانية تظهير تصوراتهم للعالم الذي يعيشون فيه وألقت الضوء الساطع على عملية التفاعل حيث كشفت أن الناس يشاركون بعضهم بعضاً خلال هذا التفاعل أكثر من كونهم يستجيبون للسلوك الظاهر المتبادل أو هي بعبارة أخرى وضعت الفرد في قلب المجتمع كما جعلت المجتمع يعيش في الأفراد .

*** أهم مصطلحات التفاعلية الرمزية : هي :**

- التفاعل ( سلسلة مستمرة من الاتصالات بين فرد / فرد أو جماعة / جماعة ) .
- المرونة ( القدرة على التصرف حسب الظرف ) .
- الرموز ( إشارات مصطنعة لتسهيل التواصل ) .
- الوعي الذاتي ( قدرة الإنسان على تمثل الأدوار ) .

*** من أشهر ممثلي النظرية التفاعلية الرمزية :**

- ماكس فيبر – هوفمان إرفينج
- جورج ميد – هارولد جارفنكل
- وليام إسحاق توماس – تشارلز كولي

– جون ديوي – وليام جميس

– روبرت بارك – هربرت بلومر

وتعد أعمالهم الركيزة الأساس لمختلف اتجاهات التفاعلية الرمزية .

*** من أهم القضايا الأساسية للتفاعلية الرمزية :**

– تسلك الكائنات إزاء الأشياء في ضوء ما تنطوي عليها هذه الأشياء من معاني ظاهرة لهم .

– هذه المعاني نتائج التفاعل في المجتمع الإنساني .

– تتعدل وتتشكل من خلال عملية التأويل عبر الرموز .

**أي :**

الحقيقة للواقع لا تتوافر بمعزل عن تفاعل الناس ، وتأويلهم لما هو وجود ويتذكر الناس ويشكلون معرفتهم بالعالم بناء على ما يرونه نافعاً ومفيداً ويعرفون الموضوعات الاجتماعية والطبيعية وفق ما يتصورون فيها من منافع ويرتبط فهمنا للتفاعل على بناء ما نقوم به فعلاً .

**آ – ماكس فيبر والفعل الاجتماعي ذي المعنى ( التمهيد للتفاعلية الرمزية ) :**

* يعد ( ماكس فيبر ) الفعل الاجتماعي بأنه صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي والخارجي الذي يكون معبراً عنه الفعل أو الإحجام عن الفعل . بمعنى هو سلوك إنساني ظاهر أو مستتر يمنحه الفرد الفاعل معنىً ذاتياً وعلم الاجتماع هو العلم الذي يسعى إلى دراسة الفعل الموجه إلى سلوك الآخرين .

* يرى ( فيبر ) أن الفهم الذي يركز على الملاحظة المباشرة للمعنى الذاتي يمكن التحقق منه في صورتين هما :

الأولى : وتتمثل في الفهم الذي يركز على الملاحظة المباشرة للمعنى الذاتي فنحن نفهم المعنى وراء استخدام بندقية لصيد حيوان ، ونفهم المعنى الذاتي للأفعال غير العقلية التي تصدر عن إنسان غاضب ... الخ ، وهذه المعاني نستطيع أن ندركها ، لأننا على وعي وإدراك بالمقاصد الذاتية التي ترتبط بالأفعال المماثلة التي تصدر عنها .

والثانية : فهي متمثلة في فهم الدافع أو التبرير الذي يقدمه الفاعل لسلوكه ، وذلك عن طريق ما يسميه ( فيبر ) عملية التخصص الوجداني ، فعن طريق المشاركة التعاطفية يمكننا أن نفهم السياق العاطفي الذي أدى بالفاعل إلى سلوك مثل هذا السلوك .

* لتحليل السلوك وفهم المعنى الذي وراءه يمكننا تخيل الانفعالات التي تظهر بين الناس حيث يتعرضون لموقف معين أو حادث معين ، مثلاً : احمرار الوجه عند الخجل / الابتسامة عند الفرح ... الخ .

* حدد ( فيبر ) أربعة أنماط للفعل الاجتماعي ، هي :

١. الفعل العقلي الرشيد عملياً : الذي غاياته محددة ووسائله واضحة ، مثال : القائد الذي يختار أفضل الخطط التي تحقق له النصر ، المهندس الذي يصمم مشروع معماري ناجح .
٢. الفعل العقلي الرشيد قيمياً : الفرد واعياً بالقيم المطلقة التي تحكم بالفعل بأنه موجه ذو قيمة مطلقة ( الاعتقاد الواعي في قيمة بعض الصور الأخلاقية والجمالية والدينية للسلوك ) ، مثال : المؤمن الذي يؤمن بعقيدة .

٣. الفعل العاطفي : سلوك صادر عن حالات شعورية خاصة يعيشها الفاعل أو هو الفعل الذي يتحدد بالحالة العاطفية أو الوجدانية للفاعلين ، مثل : الخشوع في الجامع / الفرح لسماع خبر مفرح / تعابير الحزن على الوجه عند خبر السوء .
٤. الفعل التقليدي : سلوك تميله العادات والتقاليد والمعتقدات السائدة ، مثل : احترام الكبير / عدم التدخين أمام الأب أو كبير الأسرة .... الخ ، الفعل هو السلوك الذي يتحدد بما اعتاد عليه الفاعلون في سلوكهم .

* العلاقات الاجتماعية عند ( فيبر ) سلوك جمعي ( جمع من الفاعلين ) تحدد بمضمونات معنى هذا السلوك بمعنى العلاقة الاجتماعية هي تبادل الأفعال بين الأفراد على أساس فهم كل منهم للمعاني التي يضيفها كل فرد على سلوكه .

**ب – مؤسس التفاعلية الرمزية ( جورج هربرت ميد ) :**

من خلال العمق الفكري الذي اتسمت به معالجته للعلاقة بين ( العقل / الذات والمجتمع ) .

وقد تبنى بعض الأفكار المهمة في صياغة النظرية التفاعلية الرمزية هي :

- التركيز على عمليات التفاعل الاجتماعي بين الفاعل وبيئته الاجتماعية والطبيعية بافتراض أن حقيقة البيئة ترتكز على تأويل الفرد لمحيطه .
- العلاقة بين الفاعل ومحيطه متغيرة وليست ثابتة .
- الفاعل كائن قادر على تأويل العالم من حوله ( قراءة المعاني التي يتصورها لعالمه الاجتماعي والطبيعي ) .
- هناك علاقة تفاعلية تبادلية بين الذات والمجتمع ومركز هذه العلاقة التنشئة الاجتماعية .

**جـ – مطور أفكار ( ميد ) هو ( هربرت بلومر ) :**

وهو من رواد التفاعلية الرمزية بعده ومن أهم إضافاته للنظرية التفاعلية الرمزية :

١. الناس أفراد وجماعات مجهزون للفعل على أساس معاني الأشياء التي يتضمنها عالمهم ومن ثم يقوم السلوك على أساس المعاني الاجتماعية وهي ثلاثة أنماط :
   الأول : طبيعي ( الأشجار والأنهار ) ، الثاني : اجتماعي ( زملاء العمل )
   الثالث : تجريدي ( مبادئ الأخلاق ) .
٢. المجتمع عملية رمزية تفاعلية تفسيرية داخل الأفراد .

٣. رفض الأفكار التي تستند إليها التصور الوظيفي للمجتمع لأنها تتناول المجتمع أو الجماعات كأنساق اجتماعية .

٤. حاول دعم وتطوير مفاهيم ( ميد ) بدراسته الإمبريقية للسلوك الاجتماعي .

٥. تعميق تحليلات التفاعلية الرمزية للمجتمع .

٦. مناقشة المناهج السوسيولوجية الملائمة لمنظور التفاعلية الرمزية .

لذلك بين أهمية الملاحظة بالمشاركة والاندماج الاجتماعي وتحرر الباحث العقلي من الإجراءات الصارمة للبحث .

٧. لخص (بلومر) القضايا الأساسية للتفاعلية الرمزية في المقدمات التالية :

- تسلك الكائنات الإنسانية إزاء الأشياء كما تبدو لها من معاني ظاهرة .
- المعاني هي نتاج التفاعل الاجتماعي في المجتمع.
- تتعدل وتتشكل المعاني من خلال عملية التأويل التي يستخدمها فرد في تعامله مع الرموز التي تواجهه.

**د – تلميذ ( هربرت بلومر ) أحد أقطاب التفاعلية الرمزية وهو ( جوفمان ارفينج ) ( الحياة الاجتماعية والحياة المسرحية ) .**

إذ يرى مماثلة الحياة الاجتماعية بالحياة المسرحية ( نظرية التمثيل المسرحي ) ، فمثلاً يعمل الفريق المسرحي على التعاون لتحقيق إقناع الجمهور الذي يشاهد العرض المسرحي الذي يقدمه الفريق ، ففي كل مواقف الحياة الاجتماعية ، ومنظماتها ، نستطيع أن ننظر إلى الأعضاء المشاركين في هذه المواقف بأنهم يشبهون الفريق ، ويهدفون إلى تحقيق أهداف مماثلة لأهدافه .

مثلاً :

– فريق الأطباء والممرضون في المشفى ومحاولتهم إقناع المريض بقدرتهم على خدمته طبياً .

– طرقنا في الملبس / الحركة / الحديث / ... إلخ ، تعبر عن أدوارنا ومحاولتنا لتكوين صورة ذهنية مناسبة لنا .

وتتجسد المعطيات الجديدة للتفاعلية الرمزية من خلال ( جوفمان ) بـ :

– المسرح وهو النموذج لفهم الحياة الاجتماعية .

– التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تسهم في تكوين الوعي بالأدوار التي تقوم على مسرح الحياة الاجتماعية ، وهي لا ترتبط بالمراحل المبكرة فقط وإنما عملية مستمرة عبر مراحل دورة الحياة المختلفة .

**هـ – الاتجاه المعاصر للتفاعلية الرمزية :**

المتمثل بالمنظور ( الأثنوميثودولوجي ) ( منهج بحث الشعوب ) أو ( المنهجية الشعبوية ) بمعنى ( التنظير ما وراء النظرية ) ويمثل هذا الاتجاه المعاصر ( جارفينكل ) أو ( هارولد جارفينكل ) وتجسد باتجاه فكري سمي ( مدرسة كاليفورنيا ) .

* الأثنوميتودولوجي : مصطلح Ethnomethodology من مقطعين ، يتكون المقطع الأول من الكلمة اليونانية Ethno والتي تعني ( الشعب – الناس – القبيلة – السلالة ) أم المقطع الآخر ( Methodology ) فيشير إلى المنهج أو الطريقة التي يستخدمها الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية ، مما يشير إلى أن المنظور الأثنوميثودولوجي يهتم أساساً بتطوير مناهج البحث.

* ويشير هذا المصطلح عند ( جارفينكل ) على أنه يعني استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة التعبيرات والأفعال العملية التي تتم أثناء الحياة اليومية ، وبتعبير آخر دراسة المعاني التي يعطيها الناس لكلماتهم وأنماط سلوكهم ، ووفق التفاعلية الرمزية تحليل الحياة اليومية تحليلاً يكشف عن المعاني الكامنة خلف كل فعل وسلوك لهذه الحياة اليومية لتكوين نوع من الألفة بالأحداث والوقائع .

سلوكنا اليومي / كلامنا / تعابير وجهنا ... إلخ ومعنى ذلك في الحياة الاجتماعية .

أمثلة : سكوت الفتاة عند زيارة أهل العريس .

تقديم الضيافة مع نظرة عابسة .

الأناقة والجلوس دون أي حركة أمام الضيوف ... إلخ .

* ويعد المنظور الأتنوميثودولوجي اتجاهاً فكرياً اجتماعياً متقدماً في النظرية التفاعلية الرمزية إذ يهتم بتحليل الطرق التي يتحدث بها أعضاء المجتمع إلى بعضهم البعض في الحياة اليومية بحيث يظهر هؤلاء الأعضاء أنهم كائنات عقلانية توجه سلوكهم مناهج عقلية رشيدة .

مثال : يسعى الأعضاء لإقناع بعضهم بأن أحدهم يكون أولا يكون منحرفاً ، أي أن اتفاق المجموعة هو الذي يشكل معنى الواقع الاجتماعي .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه يجب إثارة التساؤلات حول البنى الاجتماعية ، ويهتم بدراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغيرة النطاق ، أي أن المنظور الأثنوميثودولوجي يؤكد أن الواقع الاجتماعي في حالة تغير دائم على مستوى الوحدات الصغرى ، بمعنى يحث الأفراد على تغيير ذواتهم دون تغيير النظام الاجتماعي القائم .

* وتتمثل أهم القضايا التي ركز ويركز عليها الاتجاه الأثنوميثودولوجي بالقضايا التالية :

- الدراسة الاجتماعية الإمبريقية للغة ( المسلمات والفهم الشائع في المجتمع ) .
- الدراسة الاجتماعية لظاهرة البحث العلمي ونشاط الباحث الاجتماعي .
- الدراسة الاجتماعية للغة الطبيعية أو لغة الحياة اليومية .
- البحث الإمبريقي المنظم للخصائص العامة والثابتة في الأنشطة والظواهر الاجتماعية دون التعليمات الإحصائية التقليدية .

ترفض الأثنوميثودولوجيا التسليم بالحقائق الرسمية دون التحقق منها .

## أعلام النظرية التفاعلية الرمزية :

- **ماكس فيبر 1920 – 1864 : Max Weber**

عالم اجتماع ألماني ( ولد في : ايرفورت، وتوفي في : ميونخ ) من عائلة محافظة. درس علوم الحقوق والفلسفة والتاريخ والاقتصاد.

كان موضوع رسالته للدكتوراه ( الشركات التجارية في العصور الوسطى ). وعند بلوغه سن الثلاثين دعي للعمل كبروفيسور في كلية الاقتصاد القومي بجامعة فرايبورغ ( جنوب ألمانيا ) وانتقل بعد ذلك إلى ( جامعة هايدلبرغ ) وخلالها أصيب بمرض نفسي أجبره على مزاولة عمله بشكل متقطع.

شارك عام ١٩٠٩ في تأسيس الجمعية الألمانية لعلوم الاجتماع في عام ١٩١٣ كتب كتابه ( الاقتصاد والمجتمع ) والذي نشر عام ١٩٢٢ م ( بعد وفاته ).

ويعد فيبر من أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الألماني عام ١٩١٩م وفي ذات العام كتب عملين مهمين هما :

- العلم كمهنة
- السياسة كمهنة.

- **جورج هربرت ميد George H Mead 1863 – 1931**

عالم أمريكي في علم النفس والاجتماع من مواليد ولاية ( ماساتشوستش ) تلقى تعليمه في كلية ( أوبرولين ١٨٧٩ – ١٨٨٣ م ). وجامعات : هارفرد / ليبنرغ / برلين ١٨٨٧– ١٨٩١م.

ويعد توليه التدريس في جامعة ( ميتشجن ١٨٩١– ١٨٩٤ م) تأثر بأفكار ( ديوي ) و ( كولي ) ثم انتقل إلى قسم الفلسفة بجامعة شيكاغو وبقي في التدريس حتى وفاته.

**من مؤلفاته :**

- العقل والذات في المجتمع.
- الحركات الفكرية في القرن التاسع عشر.
- فلسفة الفعل الاجتماعي.

تبنى بعض الأفكار المهمة في صياغته للنظرية التفاعلية الرمزية مثل ضرورة التركيز على عمليات التفاعل الاجتماعي بين الفاعل وبيئته الاجتماعية والطبيعية بافتراض أن حقيقة البيئة ترتكز على تأويل الفرد لمحيطه.

- **هربرت بلومر H. Blumer :**

- ولد عام ١٩٠٠م، توفي عام ١٩٨٦م.

- هو عالم اجتماع أمريكي اهتم بالتفاعل الرمزي ومناهج البحث الاجتماعي.
- كان شديد الاهتمام بالدراسات النفسيّة الاجتماعيّة والسّلوك الجمعي والاتّصالات الجمعيّة.

- **جوفمان أرفينج Goffman Erving :**

- عالم اجماع وكاتب أمريكي –كندي، ولد عام ١٩٢٢م، وتوفي عام ١٩٨٢م.
- يعتبر من أكبر علماء الاجتماع نفوذاً في القرن العشرين.

- **هارولد جارفتكل Harold Garfinkel:**

- عالم اجتماع أمريكي ولد عام ١٩١٧م، وتوفي عام ٢٠١١م، وكان أستاذاً في جامعة كاليفورنيا.
- كان محور اهتمامه التنظيم الاجتماعي وخاصّة في الحقل المسمى مناهج بحث الشعوب أو ما يسمى (المنهجيّة الشعبويّة).
- كان له محاولة جادّة لإنشاء نظريّة ديناميكيّة تختلف عن الأسلوب التّقليدي.